

الأوضاع الثقافية للكوفة في صدر الإسلام - دراسة تاريخية -

د. هاشم يونس عبد الرحمن

قسم التاريخ / كلية التربية

جامعة الموصل

القبول

٢٠١١ / ٠٦ / ٢٨

الاستلام

٢٠١١ / ٠٦ / ٠٩

Abstract

Al- Kufa is considered one of the cities that the Arabs had established for military purposes. But had developed until it became of the most important and scientific cities. It attracted the attention of different kinds of people who visited it from all walks of life including some of the prophet's (God's blessings be on him) companions.

They took part in spreading science and knowledge which led to creating a culture and civilization in Kufa at that time. As a result, various religious and worldly (secular) studies appeared such as Quranic studies, Hadith studies, Arabic phonology, poetry and history et...

Those studies were later developed and Kufa became one of the most important scientific and literary centers in the Islamic world.

ملخص البحث:

تعد الكوفة من المدن التي أقامها العرب لإغراض عسكرية إلا أنها ما لبثت أن تطورت حتى غدت واحدة من المدن العلمية المهمة فازدهمت بصنوف شتى من الناس الذين قدموا إليها من كل حذب وصوب ومن بينهم عدد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث ساهموا في إشاعة العلم والمعرفة وأدى ذلك إلى خلق مناخ ثقافي امتزجت فيه الثقافة السائدة في الكوفة مع الثقافة العربية الإسلامية الجديدة وقد شجع ذلك على ظهور الدراسات الدينية والدنيوية المختلفة كدراسات القرآن والتفسير والحديث والفقه والعربية والشعر والتاريخ وغير ذلك وقد تطورت هذه الدراسات فيما بعد لتصبح الكوفة واحدة من المراكز العلمية المهمة في العالم الإسلامي.

كان تأسيس الكوفة قائماً منذ البداية لإغراض عسكرية ^(١) إلا أنها ما لبثت بعد زمن قليل ان ارتقت سلم الرقي والتحضر حتى غدت واحدة من أهم المراكز الحضارية في العالم الإسلامي اجتذبت إليها صنوف الناس من ضروب الملل والنحل والقوميات في ظل مجتمع يسوده حركة فكرية زاخرة بألوان شتى من الثقافات ^(٢).

وقد كان لموقع الكوفة الجغرافي وعناصر السكان العرب فيها واحتكاكهم بالأقوام الأجانب الذين ساكنوهم ثم اقتباس ما ورثوه من حضارات سابقة ومعارف قديمة اثر في تحديد الاتجاه الثقافي والفكري لها ^(٣).

وشجع الاستقرار في الكوفة على ظهور الاهت مام بالعلم والمعرفة وهو ما حث عليه الإسلام ، وكان ذلك إيذاناً بظهور الاتجاهات الأولى للثقافة العربية الإسلامية في الكوفة وهي اتجاهات كانت تستند على تيارين أساسيين هما التيار الإسلامي المتمثل بدراسات القرآن والحديث والفقه والتيار القبلي المتمثل في الاهتمام بلشعر والأيام والأنساب واللغة ^(٤). وكان الاهتمام بالقرآن أمراً ملحاً خلال الفترة الأولى من الاستقرار بوصفه القاعدة الأساسية للإيمان ، لذلك حاولت الخلافة إرسال عدد من القراء الى الأمصار الجديدة لتعليم الناس وتبصيرهم فبعثت الى الكوفة كل من عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وجاء في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى أهل الكوفة : "أما بعد فاني بعثت اليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم وانهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما وقد أثرتكم بأبن أم عبد [يعني عبد الله بن مسعود] على نفسي" ^(٥).

لقد كان عبد الله بن مسعود شخصيته معروفة فقد كان شديد الصلة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قراءته فقال "من سره ان يقرأ القرآن غصاً كما نزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد" ^(٦) وكان يقول له ايضا (انك عليم معلم) ^(٧).

كما كان الخليفة عمر بن الخطاب يحترم ابن مسعود ويثني عليه لما يحمله من خلق وعلم وذكر ان رجلاً من الكوفة كلمه عندما أعطى أهل الشام أكثر من أهل العراق فرد عليه عمر قائلاً "يا أهل الكوفة أجزعتم ان فضلت أهل الشام عليكم ٠٠٠ لقد أثرتكم بابن أم عبد" ^(٨) كما أثنى علي بن ابي طالب على عبد الله بن مسعود وأشار الى انه "علم القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى به علماً" ^(٩).

وقد رافق وصول عبد الله بن مسعود الى الكوفة وصول عدد كبير من الصحابة اليها من بينهم "ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر" ^(١٠).

ولعب هؤلاء جميعاً دوراً مهماً في تطور الحياة الثقافية في الكوفة فقد كان عبد الله بن مسعود يخطب في مسجد الكوفة كل خميس ويذكر الناس بدينهم ودنياهم وود بعضهم لو انه خطب كل يوم فقال له احدهم "يا أبا عبد الرحمن لوددت انك ذكرتنا كل يوم" ^(١١).

وكان أهـل الكوفة فرحين بأبن مـ سعود وقد اثـنوا عليه فقالوا له "جزيت خيراً فقد علمت جاهلنا وثبت عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين فنعم اخو الإسلام أنت" (١٢).

وبرز في الكوفة عدد من تلاميذ عبد الله بن مسعود ممن اشتهروا بالقراءة مثل علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني والأسود بن يزيد، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس (١٣) وقد أثنى عبد الله بن مسعود على بعض هؤلاء الرجال فقال عن علقمة بن قيس "ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرأه ويعلمه" (١٤) وقال عن مسروق بن الأجدع انه مسن "عباد أهل الكوفة وقرائهم" (١٥).

وتلاميذ عبد الله بن مسعود في الكوفة كثيرون وقد ذكر إبراهيم النخعي وهو من أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله بن مسعود (١٦) "كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبد الله" (١٧). وقد عرف قراء الكوفة بعلمهم وورعهم حتى ان علياً بن ابي طالب أثنى عليهم ووصفهم بأنهم "سرج هذه القرية [أي الكوفة]" (١٨).

وارتبط الاهتمام بالقرآن بالاهتمام بالتفسير وكانت المحاولات الأولى عبارة عن شروحات لبعض النصوص اللغوية ولزمن نزول الآيات والموضوعات التي عالجتها وقد أفيد في هذا المجال من الشعر والنثر الذي ساد في الفترة التي سبقت الإسلام، فضلاً عن أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأقوال الصحابة وإشارات أهل الكتاب (١٩).

وقد تصدى للتفسير في الكوفة عدد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل علي بن ابي طالب (٢٠). وسعد بن ابي وقاص (٢١). وسعيد بن زيد (٢٢) وعبد الله بن مسعود (٢٣).

وكان منهج التفسير يقوم على تلاوة القرآن الكريم ومن ثم تفسيره وذكر ان عبد الله بن مسعود كان اذا اجتمع إخوانه نشروا المصحف فقرأوا وفسر لهم (٢٤). وذكر عبد الرحمن السلمي وهو من المفسرين التابعين في الكوفة: "أخذنا القرآن الكريم عن قوم اخبرونا انهم كانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن الى العشرة الأخر حتى يعلموا ما فيهن فكنا نتعلم القرآن الكريم والعمل به" (٢٥).

وقد تميزت الكوفة باعتمادها على الرأي في التفسير وقد سمي أصحابها بأهل الرأي لكثرة مناقشتهم للمسائل وإبداء الرأي فيها (٢٦). ولعل من ابرز تلاميذ الكوفة في التفسير علقمة بن قيس (٢٧) والأسود بن يزيد (٢٨). وعامر بن شراحيل (٢٩). وشريح بن الحارث الكندي (٣٠) وإبراهيم بن يزيد النخعي (٣١) وقد لاقى التفسير في الكوفة تطوراً فيما بعد حيث أصبحت مدرسة الكوفة واحدة من ابرز مدارس التفسير في العالم الإسلامي (٣٢).

وحظي الحديث بالاهتمام في الكوفة نظراً لدوره في تفسير ما ورد في القرآن الكريم، وقد تميزت الفترة الأولى من الاستقرار في الكوفة بقلة الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم). فقد كان كبار الصحابة خلال هذه الفترة يخشون كثرة الرواية لئلا يقع الرواة في الخطأ والنسيان

فينسبون الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أحاديث لم يقلها ، كما ان رواية الحديث تبعد الناس عن الاهتمام بالقرآن الكريم ^(٣٣). وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب أصحابه الذين بعث بهم الى الكوفة بالإقلال من رواية الحديث فقال لهم "انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن، واقلوا الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ^(٣٤).

وقد عرف عن عبد الله بن مسعود قلة روايته للحديث ^(٣٥). وكان مع تلاميذه "يتحرى في الأداء ويشدد في الرواية" ^(٣٦).

على ان شيوع الوضع في الحديث ووفاء عدد كبير من حفظته دفع الى الاهتمام به وتدقيقه وقد برز في الكوفة خلال هذه الفترة عدد من الرواة للحديث مثل الأسود بن يزيد ^(٣٧) وسويد بن غفلة ^(٣٨) وزر بن حبيش ^(٣٩). وعبد الرحمن بن ابي ليلى ^(٤٠) وشريح بن الحارث ^(٤١) وشريح بن هاني ^(٤٢). وقيس بن ابي حازم ^(٤٣) وعمرو بن ميمون ^(٤٤) والمعرور بن سويد ^(٤٥). وعامر بن شراحبيل ^(٤٦) وابي اسحق السبيعي ^(٤٧) وغيرهم كثير ويكفي ان نذكر ان هذا العلم كان عدد طلابه في نهاية القرن الأول الهجري في الكوفة وحدها ستة الآلاف فيما يقال ولا نعتقد ان في هذا مبالغة كثيرة فقد ألف البخاري كتاباً ضخماً ذكر فيه أسماء المعروفين من رواة الحديث في القرنين الأولين والكتاب مكون من ثمان مجلدات ضخمة فيها أسماء الآلاف ممن رأى انهم يستحقون الذكر ^(٤٨).

كما حظي الفقه باهتمام ملحوظ ايضا وكان الفقهاء في الكوفة يعتمدون في أحكامهم على ما يجدونه في كتاب الله والصحيح من السنة النبوية واذا لم يجدوا ذلك اعتمدوا الرأي والقياس وسيلة لإحكامهم ، وقد تميزت الكوفة باعتمادها الرأي مقابل المدينة التي اعتمدت الحديث وفضلت الضعيف منه على الاجتهاد ^(٤٩).

وبرز في الكوفة عدد من القضاة مثل عروة بن الجعد البارقي وسلمان بن ربيعة ، وجبر بن القشعم الكندي ، وشرجيل بن جبر ، وابو قرّة الكندي ، وعبد الله بن مسعود ، وذكر ان أول من قضى في الكوفة ابو قرّة الكندي ثم سليمان بن ربيعة ثم استقصى عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود ^(٥٠). وكان عبد الله يقرئ "القرآن في المسجد ثم يجلس بعد ذلك يفتي الناس" ^(٥١).

ومن بين القضاة اللامعين في الكوفة شريح بن الحارث ، ومسروق بن الأجدع ، والحارث الأعور ، وعامر الشعبي ، وابو عبد الله سعيد بن جبير ، وبزید بن الأسود ، والحكم بن عينية ^(٥٢)، وعبيدة السلماني ^(٥٣) وقد وصف بعض هؤلاء بتظلمهم في القضاء فقد وصف مسروق بن الأجدع بأنه "اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح يستشير" ^(٥٤) ووصف عبيدة السلماني بأنه كان يواز ي شريحاً في القضاء وان شريح كان يستشير اذا شكل عليه أمر ^(٥٥).

وفضلاً عن هؤلاء جميعاً يعد علي بن ابي طالب من بين الفقهاء والقضاة اللامعين وقد نقل عنه الكثير من الأحكام التي حملها عنه أهل الكوفة ^(٥٦).

ان اهتمام الكوفة بالفقه جعلها واحدة من المدن التي حظيت بمذهب فقهي هو مذهب ابي حنيفة^(٥٧).

وأولت الكوفة اهتماماً بالعربية، ويبدو ان اختلاط العرب بالأجانب واندماج بعضهم ببعض وفتح بيوتهم للسبائا أدى الى إحداث تغير في ملكتهم وظهور اللحن في لغتهم وتسرب العجمة الى لسانهم^(٥٨) وانعكس ذلك في قراءتهم للقرآن الكريم حيث ظهر اللحن واضحاً بين الأعراب والأعاجم على حد سواء وقد أعرب الخليفة عثمان بن عفان عن تخوفه من ذلك فقد ورد في إحدى خطبه "بعد اجتماع ثلاث فيكم ، تكامل النعم ، وبلغ أولادكم من السبائا وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن:^(٥٩).

وكان ذلك دافعاً لوضع الأسباب التي يمكن من خلالها الحفاظ على العربية وقد أشار الى ذلك الزبيدي فقال "حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم الى ان سببوا الأسباب في تقيدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن ذاعت عنه"^(٦٠).

وبعد النحو من بين القواعد التي وضعها العرب لضبط العربية ، وقد وردت روايات عديدة فيما يتعلق بنشأة هذا العلم^(٦١) وقد اجمع عدد من الباحثين على ان أبا الأسود الدولي هو الذي وضع أسس هذا العلم^(٦٢).

ويرى الدكتور جواد علي "ان علم العربية كان معروفاً في العراق وانه كان يدرس في مدارس الحيرة وعين التمر والانبار وربما في مواضع أخرى كانت غالبية سكانها من العرب النصارى كان يدرسه لهم رجال الدين الذين يتقنون الآرامية وكانوا قد اخذوا علومهم في النحو من اليونان بتأثير النصرانية ودراسة الأناجيل والكتب الديني ة المؤلفة باليونانية ، ولما كان أهل المواضع المذكورة من العرب فلا يستبعد ظهور جماعة من رجال الدين النصارى العرب اتخذت من مبادئ النحو التي وضعت للسريانية والمنقولة عن اليونانية قواعد لضبط العربية بموجبها^(٦٣). ولا يستبعد الباحث المذكور "احتمال وقوف علي بن ابي طالب او ابي الأسود الدولي على تقسيم الكلم الى اسم وفعل وحرف وفقاً عليه باتصالهم بالحيرة او بعلماء من أهل العراق كانوا على علم بالنحو وعلوم اللغة في ذلك العهد وقد كان ذلك في الأسس والمبادئ، فلما جاء الإسلام واخذ المسلمون علم العربية على المتقدمين زادوا فيه وفرعوا واستقصوا وقاسوا واخذوا حسن كلام العرب ومن الشعر حتى تضخم النحو فبرز على الصورة التي نجدها في كتاب سيبويه وفي الكتب التي وضعت بعده^(٦٤).

لقد اهتم الكوفيون بدراسة النحو واستفادوا كثيراً من البصريين الذين تقدموا عليهم في هذا المجال "فكان كثير من رجال العلم الكوفيين يشدون الرحال الى حلقات الدرس في البصرة وكان بعض أهل العلم من البصريين يقصد الكوفة ويتصدر التدريس فيها"^(٦٥).

وعلى الرغم من تأثر الكوفة بالبصرة فقد استطاعت الكوفة ان تقيم لها منهجاً خاصاً في مجال الدراسات النحوية ولم تكن تعتمد على القياس إلا في القليل النادر واعتمدت على السماع كوسيلة في استنباط الأحكام^(٦٦).

ومع تقادم الزمن استطاعت الكوفة ان تؤسس له مدرسة خاصة بها وبرز في هذه المدرسة عدد من العلماء من أمثال الرؤاسي (ت ١٨٧هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) وغيرهم^(٦٧). لقد كان من نتائج الاهتمام بالنحو ان تخلصت العربية مما علق بها من ادران فغدت لغة الفصاحة والثقافة والحضارة وبدأت الدولة العربية الإسلامية تسعى لتعزير مكانتها ولابد من الإشارة في هذا الصدد الى محاولة الخليفة عثمان بن عفان جمع الناس على مصحف واحد رغبة منه في التوحيد الثقافي وقد نقل عنه قوله "كان القرآن كتباً فتركتهما إلا واحداً ألا وأن القرآن واحد جاء من عند واحد"^(٦٨).

ولابد من الإشارة أيضاً الى عملية التعريب بوصفها من ابرز العوامل التي ساهمت في تعزيز انتشار اللغة العربية والتي أصبحت لغة الثقافة والإدارة فضلاً عن كونها لغة السياسة والدين^(٦٩).

وكان من نتائج الاهتمام بالعربية الاهتمام بالخط وقد عني الكوفيون بتجويد نوع من الخط هندست أشكاله ومطت عراقاته واس تقامت وتميز عن الخطوط الحجازية وغلب عليه الجفاف واستحق لذلك ان ينفرد باسم جديد هو الخط الكوفي^(٧٠). وقد تميز هذا الخط بزواياه المربعة وحروفه المستقيمة وكتابته التي تميل إلى التربع^(٧١).

وبعد هذا الخط من أقدم الخطوط العربية الإسلامية وهو قريب الشبه بالخط السطرنجيلي خط المصاحف عند المسيحيين في العراق ومن اجل أقلامهم لاستخدامه في الكتابات الدينية ومنها الأنجيل، وقد اخذ هذا الخط على ما يظهر من الخط الحيري حيث حمله الحيريون معهم عند انتقالهم إلى الكوفة^(٧٢). وقد استخدم العرب هذا الخط في تدوين المصاحف ، وتوجد في متحف استانبول لوحة قرآنية تعود إلى فترة الخليفة علي بن ابي طالب تعد من آيات الجمال^(٧٣). كما استخدم هذا الخط في الكتابات الأخرى وقد عثر في وادي الأبيض قرب حصن الاخضر على أقدم نص كتابي مؤرخ في العراق كتب سنة ٦٤هـ/٦٨٣م^(٧٤).

ووجد الشعر في الكوفة اهتماماً فقد كان الكوفيون يعقدون المجالس يضرِبون خلالها الأمثال ويتناشدون الأشعار وقد خاطب الإمام علي بن ابي طالب أهل الكوفة فقال "إذا تركتم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزيزين تضرِبون الأمثال وتناشدون الأشعار"^(٧٥).

ومع تأثره بالقيم والمناهج الإسلامية الجديدة فقد استمر الكثير من الشعر ينطوي على استمرار للشعر القديم من حيث المحتوى والأسلوب ، فقد استمر مدح الرؤساء والوقوف ببابهم

ونشر مفاخرهم وهجاء أعداءهم^(٧٦). وكان هؤلاء وأمثالهم مصدراً لحياة أدبية قوية من شعر يشبه الشعر الجاهلي وحكم تشبه التي تروى عن اكثم بن صيفي^(٧٧).

وفي الكوفة كان الشعراء يتبارون بشعرهم وكانت الكناسة وهي منطقة تقع عند أطراف الكوفة تقوم بنفس الدور الذي كان يضطلع به المريد في البصرة^(٧٨). وكان الأشراف في الكوفة يخرجون ظاهرها يتناشدون الأشعار ويذكرون أيام الناس^(٧٩).

ويعود الفضل للكوفة في المحافظة على الشعر العربي القديم، ويرى الدكتور جواد علي أن "الفضل في جمع الشعر الجاهلي وتدوينه وتخليده يعود إلى مدينتين اشتهرتا بالعلم هما الكوفة والبصرة فقد كان علماء هاتين المدينتين في طليعة من عني بجمع الشعر الجاهلي وتقسيه ولا نكاد نجد مدينة إسلامية بلغت مبلغها في هذه الناحية"^(٨٠).

ويروى السيوطي أن الشعر بالكوفة أكثر مما هو عليه في البصرة^(٨١). ويزعم الكوفيون أن علمهم بالشعر قديم ورد إليهم من الطنوج وهي الكراريس التي أمر النعمان بن المنذر بتدوين أشعار العرب عليها ثم أمر بدفنها في القصر الأبيض فلما كان المختار ابن أبي عبيدة احتقرها فأخرج تلك الأشعار فمن ثم أهل الكوفة اعلم بالشعر من أهل البصرة^(٨٢).

وقد برز في الكوفة عدد من الشعراء مثل أعشى ربيعة^(٨٣). والأخطل^(٨٤) وعوف بن عبد الله، والأعشى الشيباني، والكميت بن زيد، وعمران بن حطان^(٨٥).

وأظهرت الكوفة اهتماماً ملحوظاً بالتاريخ وقد بدأت أولى الخطوات لتحويل التراث القديم الجديد في الرواية الشفوية إلى الكتاب المكتوب على سبيل معاونة الذاكرة ، ويمكن اعتبار عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلال فترة خلافته أول مؤرخ في الكوفة فقد كتب تسمية من شهد من الصحابة مع أمير المؤمنين علي حر وب الجمل وصفين والنهروان^(٨٦) ويقال أنه "أول من صنف في المغازي والسير والرجال في الإسلام لأنه لم يعرف من سبقه"^(٨٧).

وكان المنهج التاريخي الذي اعتمدته الكوفة خلال هذه الفترة يقوم على أساس الاهتمام بالتراث القبلي والمتمثل بأيام العرب والأنساب والأخبار والقصص فضلاً عن الأحداث التي رافقت ظهور الإسلام^(٨٨).

وكانت الأخبار تروى بالدرجة الأولى في المجالس القبلية وكان بعض رواة الشعر ورؤساء القبائل الرواة الأساسيين لها ولم تكن هذه الأخبار تقوم على أسانيد وإنما كانت تروى شفاهاً كجزء من ثقافة المجتمع وغالباً ما كان يرافقها الشعر في الفترة الإسلامية تماماً كما كان قائماً قبل الإسلام وتعد الكوفة والبصرة من أبرز مراكز تداول هذه الأخبار^(٨٩).

وقد بذل الكوفيون جهوداً كبيرة في جمع الروايات والأخبار فاستفادوا من الروايات الفردية والعائلية والقبلية وأكملوا ذلك بروايات من الأمصار الأخرى^(٩٠). وقدموا بذلك مادة مهمة لمن جاء

بعدهم من الإخباريين والمؤرخين ويمكن ملاحظة ذلك من خلال روايات عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ) وأبي مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) وسيف بن عمر (ت ١٨٠هـ) ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)^(٩١).

ولابد من التنويه من ان هذه الفترة شهدت اتصالات ثقافية كان معظمها شفوياً ومحدوداً وبعضها كان استمراراً لتلك التي كانت قائمة قبل الإسلام حيث خالط العرب ولاسيما "في العراق وبلاد الشام أقواماً عديدة ذات ثقافات متباينة واحتكوا بها واخذوا منها فلا يعقل إلا ان يتأثروا ببعض آرائهم في الكون وفي الحياة وفي سائر نواحي التفكير"^(٩٢).

ويبدو ان نصيب الكوفة والبصرة من هذا التأثير كان ملحوظاً ويقول أوليري "اما بداية التأمل الفلسفي والتوحيد والبحث العلمي فقد كان في العراق وعلى الأخص في البصرة والى درجة اقل من ذلك في الكوفة"، وقد كانت هاتان المدينتان في المنطقة التي كانت فيه "الحيرة وجند يسابور القديمتين ومن الممكن ان نفوذاً عاماً مرجعه إلى الاتصال بين المسلمين والمسيحيين قد وجد قبل بدء نقل الثقافة الإغريقية مباشرة من جند يسابور إلى المجتمع الإسلامي"^(٩٣).

ويقول ديبور ان البصرة والكوفة أول البيئات الإسلامية التي ظهرت فيها بواكير الثقافة العقلية عند المسلمين وهي بواكير نشأت من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة اليونانية^(٩٤). ولعل من بين نماذج هذه المؤثرات القول بالقدر وذكر ابن حجر ان "أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فاسلم ثم تنصر فاخذ عنه معبد الجهني واخذ غيلان عن معبد، وان معبد كان يقول بقول النصارى كان رأس القدرية"^(٩٥).

وفضلاً عن هذه الاتصالات فإن اتصالات أخرى كانت تجري مع الأجانب الذين دخلوا الإسلام وسكنوا العرب واحتكوا بهم في الأمصار الجديدة ولا يستبعد ان تتسلل عن طريق هذه الاتصالات الثقافية بعض الآراء والأفكار القديمة ومن المحتمل ان بعض هذه الآراء والأفكار وجد طريقها الى بعض المذاهب والفرق التي تشكلت خلال هذه الفترة على انه لا يوجد ما يدل على ان هناك إصرار مسبق للاقتباس^(٩٦).

نخلص مما تقدم الى ان الكوفة شهدت نهوضاً فكرياً واسعاً بعد تأسيسها ، إذ ازدهرت فيها مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالقرآن والحديث والتفسير واللغة والنحو والشعر والتاريخ وغيرها . وقد أهلها دورها كي تمتزج ثقافتها العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى ما جعلها تتميز عن ثقافات المدن الأخرى . ويمكن القول أن ثقافة الكوفة حددت اتجاهات الثقافة في العراق في الفترات اللاحقة.

هوامش البحث:

- (١) عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٧.
- (٢) هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، بيروت ١٩٩٣، ص ٧١.
- (٣) عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد ١٩٧٦، ص ١٨.
- (٤) عبد العزيز الدوري، نشأة الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، مجلد ١، عدد ١، الأردن، ١٩٧٨، ص ٥٧.
- (٥) أبو عبد الله بن محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، ١٩٦٠، ج ٣، ص ٢٥٥.
- (٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٢.
- (٧) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت، د ت، ج ٢، ٣٩٤.
- (٨) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩.
- (٩) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، كتاب صفوة الصفوة ، الهند ١٩٦٨، ج ١، ص ٥٨٠-٥٧١.
- (١٠) أين سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩.
- (١١) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بيروت، دت، ج ١/ ٣٧.
- (١٢) احمد بن يحيى البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق جواتين، بغداد، دت، ج ٥، ص ٣٦.
- (١٣) شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، الهند، ١١٢٥هـ، ج ٧، ٢٧٧.
- (١٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٧٨.
- (١٥) احمد بن حبان بن احمد البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، تصحيح ، فلايشمهر ، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٠١.
- (١٦) عبد القادر بن احمد بن بدران ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، بيروت ، ١٩٧٩، ج ٥، ص ٤٥٤.
- (١٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠.
- (١٨) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٠.
- (١٩) الدوري، نشأة الثقافة، ص ٦١.
- (٢٠) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩.
- (٢١) محمد عبد الله النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق معظم حسين د .م، دت، ص ١٩١.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١٩١.

- (٢٣) شمس الدين ابي الخير بن محمد الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر ، ج
برجستراسر، القاهرة، ١٩٣٣، ج٢، ص ٢٩٢.
- (٢٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٤.
- (٢٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤١٣.
- (٢٦) احمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٣٥-٢٣٦.
- (٢٧) شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصا ،
تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، دت، ص ٤٤-٤٥.
- (٢٨) أبو اسحق الشيرازي، طبقات الفقهاء، بغداد، ١٣٥٦، ص ٧٩.
- (٢٩) ابن حجر، تهذيب، ج٥، ص ٦٥-٦٩.
- (٣٠) الذهبي، تذكرة الحفاظ، مكة، ١٣٧٤، ج١، ص ٥٩.
- (٣١) ابن عماد، المصدر السابق، ج١، ص ١١١.
- (٣٢) خليل إبراهيم السامرائي، دراسات في الفكر العربي، الموصل، ١٩٨٣، ص ١٧١.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ١٣٥.
- (٣٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص ٧.
- (٣٥) الذهبي، تذكرة، ج١، ص ١٤.
- (٣٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣-١٤.
- (٣٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص ٧٥.
- (٣٨) الذهبي، تذكرة، ج١، ص ٥٣.
- (٣٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٧.
- (٤٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٨.
- (٤١) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٩.
- (٤٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٩.
- (٤٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٦١.
- (٤٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٥.
- (٤٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٧.
- (٤٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٧٩.
- (٤٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٤.
- (٤٨) صالح احمد العلي ، نشأة الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام ، مجلة أوراق ،
ج٢، مدريد، ١٩٧٩، ص ٨-٩.
- (٤٩) الدوري، نشأة الثقافة، ص ٦٠-٦١.

- (٥٠) محمد خلف بن حيان بن وكيع ، أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه عبد العزيز مصطفى، القاهرة، ١٩٤٧، ج٢، ص ١٨٤-١٨٥.
- (٥١) الجزري، المصدر السابق، ج٢، ص ٩٤.
- (٥٢) الشيرازي، المصدر السابق، ص ٥٨-٦٢.
- (٥٣) الذهبي، تذكرة، ج١، ص ٥٠.
- (٥٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٩.
- (٥٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٠.
- (٥٦) مهدي المخرومي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، بغداد ١٩٥٥، ص ٤٧.
- (٥٧) احمد أمين، المرجع السابق، ص ٢١٧.
- (٥٨) السامرائي، المرجع السابق، ص ١٨٠.
- (٥٩) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، ١٩٦٣، ج٤، ص ٢٤٥.
- (٦٠) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١١.
- (٦١) فتحي عبد الفتاح الدجيني ، أبو الأسود الدؤلي ، ونشأة النحو العربي ، الكويت، ١٩٧٢، ص ١٦-٢٠.
- (٦٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٨.
- (٦٣) جواد علي، المفصل في تلوخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٨، ج٩، ص ٤٩.
- (٦٤) المرجع نفسه، ج٩، ص ٤٩.
- (٦٥) المخرومي، المرجع السابق، ص ٥٧.
- (٦٦) النائلة، المرجع السابق، ص ٢١.
- (٦٧) شوقي ضيف، المدارس النحوية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٥٣.
- (٦٨) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٤٧.
- (٦٩) حسان علي حلاق ، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٠٤-١٠٥.
- (٧٠) حسن قاسم حبش، الخط العربي الكوفي، السليمانية، ١٩٨٠، ص ١٤.
- (٧١) سهيلة الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق ، بغداد، ١٩٦٢، ص ٤٠.
- (٧٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص ١٧٢.

- (٧٣) سهيلة الجبوري، المرجع السابق، ص ٤٣.
- (٧٤) أسامة ناصر النقشبندى، نصوص عربية من العراق تعود للقرون الثلاثة الأولى للهجرة ودراسة جديدة لأقدم نص عربي ، مجلة بين النهرين العدد (١٤-١٥) بغداد، ١٩٧٦، ص ١٥.
- (٧٥) جواد علي، المرجع السابق، ج ٩، ص ٢٢٠.
- (٧٦) احمد أمين، المرجع السابق، ص ٢١٩.
- (٧٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٩.
- (٧٨) سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٠، ص ٤٠٧، جعيط، المرجع السابق، ص ٢٩١.
- (٧٩) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، دت، ج ١٥، ص ١٧٣.
- (٨٠) المفصل، ج ٩، ص ٢٩٠.
- (٨١) أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، القاهرة، دت، ج ٢، ص ٤٠٧.
- (٨٢) أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة، ١٩٥٢، ج ١، ص ٣٧٨.
- (٨٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٨، ص ٧٠.
- (٨٤) السيوطي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٤.
- (٨٥) بلاشير، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دمشق، ١٩٧٤، ج ٣، ص ٧٧-٨٨.
- (٨٦) شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، ١٩٧٨، ج ١، ص ١٧٠.
- (٨٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٠.
- (٨٨) الدوري، نشأة الثقافة، ص ٦٦-٦٧.
- (٨٩) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٢٠.
- (٩٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٣.
- (٩١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.
- (٩٢) جواد علي، المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٢٢.
- (٩٣) مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة تمام حسان ، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢١٦-٢١٧.
- (٩٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة احمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٨.
- (٩٥) ابن حجر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٦.
- (٩٦) الدوري، نشأة الثقافة، ص ٦٧.